ان يجيء الزقوم لا خير فيها او كقوله صلى الله عليه وسلم لما قال يوم احد لما قال اعل هبل قال الله اعلى واجل ولا مماثلة
بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة وقوله عز وجل فاتقوا الله اي خافوه
وراقبوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني معهم
اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك يعني ليس لنا فيهن حاجة ولا لنا
فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه من حق ما لنا في بناتك
من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني في اتيان الرجال
في ادبارهم فعند ذلك قال لوط لقومه قال لو ان لي بكم قوة اي لو ان في قدرة القوة عليكم او اوي الى ركن
شديد يعني او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت
عشيرة لانضممت اليها قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لو كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
ثم اتاني الداعي لاجبت قال الشيخ محيي الدين النووي والمراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان
واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من
الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في ذلك لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او اوي
الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه ولو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي
الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل
التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون
سور الدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط بسببهم قالوا يا لوط ان ركنك شديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني
بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فتحول الى
صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه
حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة وضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط اسحر قوم في الارض
قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فاسر باهلك
يعني ببنتيك بقطع من الليل قال ابن عباس من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي
اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه
الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله تعالى الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم
فقال لوط متى يكون العذاب قالوا ان موعدهم الصبح قال لوط يعني انه بعيد اسرع من ذلك اريد فقالوا له
اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه
الا امراته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نزل التفتت وصاحت واقوماه فادركها حجر فاهلكها
معهم فلما جاء امرنا يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحيه
تحت قرى قوم لوط وهي خمس مدائن اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها
اربعة الاف الف فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفا لهم اناء
ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها

من

من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير سنك وكل فارسي
معرب لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قولهم استبرق
وسندس ونحو ذلك فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية
وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر واخرها طين
وقال الحسن اصل الحجارة طين فشددت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم السماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء
الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض مسومة
عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة
عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها
اي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به وما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة
وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الاثار ما من ظالم الا وهو بعرض
حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم
فوجد الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط الحجر فاهلكه قوله عز وجل والى
مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من
اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى مدين اهل
مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تعبدوا معه غيره وهذه كانت عادة الانبياء عليهم السلام يبدؤون بالاهم فالاهم فلما كانت الدعوة الى
توحيد الله وعبادته اهم الاشياء فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع
فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهو تطفيف
الكيل والوزن فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص
من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا على حقهم فيكون
نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة
وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا ويؤمنوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم
جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وحذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما بالقسط اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل
المكيال قوله ولا تبخسوا الناس اي ولا تنقصوا الناس اشياءهم يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار
في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال اوفوا المكيال والميزان ثم قال
وهذا عين الاول ولا تبخسوا الناس اشياءهم وعين هذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار قلت
ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه
الى المبالغة في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية للتاكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع
من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر
بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا
الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك

Copyright © King Saud University